المقاومة الفلسطينية ... وخيارات المستقبل

شهدت فلسطين المحتلة حرباً مجرمة منظمة شنها الجيش اليهودي على الشعب المسلم في أعقاب فشل الحكومة الاسرائيلية في وقف الانتفاضة المباركة في وجه الاحتلال. وقد استخدم خلال هذه الحرب الإرهابية كل ما تملكه الترسانة الاسرائيلية من أسلحة أمريكية في مواجهة المدن والمخيمات الفلسطينية والتي سطرت صموداً مباركاً أصاب الجيش الاسرائيلي بالمفاجأة والذهول، مما أدى الى تكثيف هجماته على المواقع الفلسطينية موقعاً المئات من الشهداء والجرحى، وفي المقابل أوقعت المقاومة المسلمة خسائر فادحة في الجيش اليهودي حيث اضطر للاعتراف بمقتل العشرات وجرح المئات من جنوده، وهذا ما يؤكد شجاعة المجاهد الفلسطيني المسلم وقدراته القتالية العالية على الرغم من الإمكانيات القليلة المتوفرة لديهم.

عبدالرحمن الطرابلسي

المقاومة بين «الشرعية الدولية» والحلم الصهيوني

نص القرار الدولي رقم ٣٣١٤ الصادر عن الامم المتحدة بتاريخ ١٩٧٤/٢/١٤ على مشروعية مقاومة المحتل قائلاً «ان النضال الوطني مشروع للشعوب المحتلة، بما فيه الكفاح المسلح من أجل حريتها واستقلالها وحقها في تقرير مصيرها». وهذا النص يؤكد على أحقية الشعب المسلم في فلسطين بالمقاومة المسلحة ضد الاحتلال استناداً الى مقررات ما يسمى «بالشرعية الدولية» التي وضعوا نظمها بأنفسهم، ولكن التواطؤ الأمريكي - الصهيوني ينفي هذا الحق ويصفه «بالإرهاب» في مخالفة للقوانين الدولية، ولكن يبدو أن هذه القوانين ليست معدة لتطبيقها وممارستها من قبل الشعوب المسلمة ولكنها محصورة بالشعوب الغربية «المتحضرة».

المقومات الأساسية للحلم الصهيوني في فلسطين

من المعروف ان الحلم اليهودي القائم في فلسطين المحتلة يقوم على ركائز اساسية حاولت كل الحكومات الاسرائيلية الحفاظ عليها بكل الوسائل الممكنة وهي:

أ - تثبيت الدولة اليهودية على أرض فلسطين، والحصول على الاعتراف الدولي بها، وانتزاع الاعتراف الاسلامي والعربي كذلك.

ب - تذويب الشعب الفلسطيني في مهجره بغية نسيان وطنه والكف عن المطالبة بحقوقه والعودة إليه.

ج - الهيمنة على المنطقة الاسلامية (ما يسمى بالشرق الاوسط) سياسياً واقتصادياً وثقافياً.

وقد ظهر هذا الاتجاه واضحاً في الكتابات الصهيونية ولا سيما كتاب شيمون بيريز وزير الخارجية الاسرائيلية الحالي «الشرق الاوسط الجديد» حيث يقدم أطروحته بما أسماه سلاماً، وهي تقوم على سلام تنموي - اقتصادي، حيث يركز على المشروعات الخدماتية كالسياحة والمواصلات والطرق، مما يمكن اليهود من الوصول إلى أهدافهم المذكورة أعلاه حيث تثبت الدولة اليهودية في المنطقة العربية، ويتم الاعتراف بها رسمياً وعملياً عبر المشاركة في المشاريع الاقتصادية وتضمن سيطرتها الاقتصادية والسياسية على المنطقة.

اتفاقيات أوسلو وسراب السلام

من المعروف ان اتفاقيات اوسلو التي عقدتها منظمة التحرير الفلسطينية مع الكيان اليهودي برعاية دولية، كانت تهدف الى انقاذ الدولة الاسرائيلية من ورطتها التي أوجدتها الانتفاضة الفلسطينية الاولى والتي هزت وجود الكيان نفسه. ولكن وبعد عشر سنوات من المماطلة في تنفيذ هذه الاتفاقيات وما تلتها، والتي تهضم أصلاً الحقوق الفلسطينية، وجد الشعب المسلم أن قيادته تركض وراء السراب الذي يسمونه سلاماً، فالمستوطنات أكثر اتساعاً وعدداً، ومصادرة الاراضي مستمرة، والجرائم اليهودية في تصاعد مستمر، والاعتقالات هستيرية، الخ... لذلك قرر أنه لا بد من التخلص من هذا السراب والبدء بانتفاضته المباركة، وعمل على تطوير أساليبها ونشاطاتها رغم المحاولات العديدة لقمعها من قبل الحكومات الاسرائيلية المتتالية.

ووصل شارون - السفاح صاحب النظرية الدموية في ضرورة التخلص من المسلمين - الى السلطة واعداً بانتهاء الانتفاضة والتخلص من كل الاتفاقات المعقودة مع منظمة التحرير الفلسطينية، والعمل على إخضاع الشعب الفلسطيني واجباره على الرضى بالمخططات الصهيونية للمستقبل والتي تتلخص في انهاء السلطة الفلسطينية -البلدية أصلاً- وإلغاء أي مظهر سيادي، واعادة احتلال المناطق الفلسطينية في الضفة والقطاع.

ولكنه جوبه بمقاومة عنيفة مخططة لم يكن يتوقعها، فازداد حقداً وغضباً، وبدأ يزج كل قواته العسكرية في المعركة، متجاوزاً كل الاعراف الدولية والانسانية، مدعوماً من قبل الحكومة الامريكية والتي ما فتئت تردّد المقولات الإسرائيلية بمعزل عن فهم الواقع المعيشي، وحجم المأساة والإرادة الفلسطينية في التضحية والفداء للتخلص من الاحتلال البغيض.

الحلول المطروحة

بعد استكمال الآلة العسكرية الصهيونية سيطرتها على معظم المناطق الفلسطينية في الضفة الغربية، وتدمير معظم البنية التحتية للفلسطينيين وزج الآلاف منهم في المعتقلات الصحراوية والسجون، في محاولة يائسة لايقاف الانتفاضة المباركة التي أقعت الكيان الصهيوني في مأزق كبير وضربت اقتصاده وأدخلت الذعر في قلوب مستوطنيه بعدما ظنوا -ولو لفترة بسيطة- بأن الأمر قد استقر لهم في أرض الإسراء.

بدأت الأوساط السياسية والدبلوماسية تعتمد على تسريب «الحلول» المطروحة للتخلص من هذه الانتفاضة المباركة، وتتلخص تلك الحلول الاسرائيلية بالتالي:

أولها: احتلال الضفة الغربية بالكامل، وهذا ما حدث فعلاً، وعزل قطاع غزة، وترحيل رجال السلطة الفلسطينية إليها، وإقامة ادارة مدنية اسرائيلية في مدن الضفة وقراها. ويعتبر هذا الحل سهلاً، ويتوقف على ترحيل ياسر عرفات ورفاقه وجماعته الى قطاع غزة في فترة لاحقة، وهذا ما يفسر - يقول المراقبون - عدم التعرض لقطاع غزة بشكل هجوم كامل حتى الساعة.

ثانيها: ترحيل القيادة الفلسطينية الى الأردن او الى أي بلد آخر وإحياء فكرة الوطن البديل في الاردن عبر طرد ملكها وخلق جو سياسي اقليمي ودولي لذلك. وبذلك ينتهي شارون من فكرة الدولة الفلسطينية بشكل نهائي دون التنازل عن اي من اهدافه. وتصطدم هذه الفكرة حتى الآن بعدم الرضى الأمريكي، وإن كان بالإمكان تذليلها عبر الضغط على الادارة الامريكية خاصة مع قرب انتخابات حاكم ولاية فلوريدا التي يترشح فيها جو شقيق الرئيس الامريكي بوش، والتي تعتبر أحد معاقل اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة.

ثالثها: ضم القطاع والضفة الى دولة «اسرائيل» بشكل نهائي والتخلص من السلطة والحلم الفلسطيني، ولكن هذا الحل ليس واقعياً على المدى المتوسط والطويل حيث ان الاغلبية السكانية ستكون لصالح المسلمين الفلسطينيين وهذا يهدد الكيان اليهودي ويهدد وجود اسرائيل بنفسها.

رابعها: اقامة دولة فلسطينية في قطاع غزة، بدون عرفات بعد ترحيله الى الخارج، والاتيان بقيادة فلسطينية بديلة، ويطرح في هذا المجال أسماء بعض من اصدقاء اليهودية كأمثال جبريل الرجوب -الذي سلم المجاهدين مؤخراً الى اسرائيل ومنع السلاح عن المقاومين- قائد الأمن الوقائي في الضفة الغربية، وأبو مازن وأحمد قريع رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني وغيرهم. وهذه من الحلول الصعبة لسببين أولهما سيطرة الحركة الاسلامية بشكل كامل وفعّال على قطاع غزة، وثانيهما صعوبة قبول دعاة المنهج الشاروني.

الخيار الحقيقي

أمام هذه الاستحقاقات والمؤامرات (الحلول) التي يحاول شارون وحكومته تمريرها معتمدين فيها على «النصر» العسكري المحقق في الضفة، ينبغي على شعبنا الفلسطيني الذي أثبت خلال السنة والنصف الماضية من عمر الانتفاضة قدرته على الاستمرار والصمود أن يرتب أولوياته في سعيه للحصول على التحرر والاستقلال. ولا شك بأن الملاحم المشرفة التي خاضها المجاهدون الفلسطينيون في مواجهة أعتى قوى عسكرية في المنطقة أفرزت واقعاً جديداً يمكن استغلاله للانتقال بالانتفاضة إلى مرحلة الجهاد الصافي بعيداً عن شعارات الوطنية والقومية وغيرها، وبني الاستراتيجية العسكرية الداعمة لهذا التوجه، والتنسيق الفعال مع القوى الربانية لإنجاح هذا المشروع، الذي يبقى وعداً إلهياً في قتال اليهود وإخراجهم من أرضنا الطاهرة.